الفصل الرابع
الخريطة السياسية للأحزاب الستة

أعرف أن بعض ما سأطرحه هنا سوف يثير صخب البعض وضجيج البعض الآخر. لكنى أجدنى رغم ذلك راغبا فى محاولة رسم هذه الخريطة الانتخابية لقوى الأحزاب السياسية المختلفة التى تستعد الآن لخوض معركة الانتخابات مؤكدا فى البداية ولكل من يهمهم الأمر حقيقتين:

■ الأولى: أننى لا أقصد بهذا العرض ـ الذى قد يعتبره البعض سابقا لأوانه ـ لقوى الأحزاب السياسية وفرصها فى الانتخابات القادمة الهجوم على حزب معين أو أحزاب معينة أو على قوى المعارضة بشكل عام.

■ الثانية: انى أستند ـ فيما أتصوره تعبيرا عن حجم القوى الممثلة للأحزاب السياسية وفرصها المحتملة فى الانتخابات إلى ما أراه بعين المراقب السياسى.. وإلى ما أقرأه فى صحف المعارضة نفسها.. وإلى ما أستشفه كصحفى يعيش الأحداث ويرتبط بواقع الحياة السياسية فى مصر قرابة ثلاثين عاما، وإلى عملية استطلاع رأى مبدئية يقوم بها «الأهرام» على شرائح مختلفة من الشعب.

لكل ذلك فإنى أعتبر ما أتوصل إليه من نتائج خلال هذا العرض هو

مجرد توقعات شخصية حجتها عندى مؤشرات ودلائل هامة لمستها فيما أراه على المسرح السياسى الآن وأعتبر حديثى هذا محاولة للتحليل قائمة على استقراء الواقع فى حدود ما أرى وما ألمس وما أسمع.

لذلك كله فانه من المقبول جدا أن تختلف تقديراتى الشخصية عن تقديرات القوى السياسية التى تخوض الانتخابات القادمة لنفسها ولأحجامها بما فى ذلك الحزب الوطنى الديمقراطى: حزب «الأغلبية» الذى يتولى السلطة الآن فى مصر.

ومن المقبول جدا أن تكون بعض أحكامى مخالفة لأحكام البعض وحساباتهم الانتخابية.

لكنى فى كل ذلك لا أعبر إلا عن نفسى وعن آرائى.. والرأى كما نعرفه جميعا ليس أكثر من رأى يحتمل الخطأ ويحتمل الصواب. والعين كما نعرف أيضا قد لا ترى بعض ما يراه الآخرون من منظور مختلف، والأذن كما نعلم جميعا قد تسمع أحيانا ما لا يسمعه البعض وقد لا تسمع أيضا بعض ما يسمعه الآخرون سهوا أو انشغالا.

ولقد رأيت أن أقدم لحديثى بهذه المقدمة الطويلة.. لأنى أرغب فى خوض تجربة تقييم وتقدير احتمالات فوز الأحزاب السياسية المختلفة بمقاعد مجلس الشعب الجديد، وبالتالى لاحتمالات التمثيل النيابى للقوى السياسية المتنافسة خلال المرحلة القادمة.

وإذا استعرضنا الأحزاب السياسية القائمة الآن والتى تستعد لخوض الانتخابات فإننا سنجدها كما هو معروف ٦ أحزاب هى: الحزب الوطنى وحزب الوفد وحزب العمل وحزب التجمع وحزب الأحرار وحزب الأمة.

فإذا بدأنا تقييمنا الشخصى لاحتمالات قدرتها على المنافسة فى

الانتخابات القادمة فاننا ـ وأرجو مرة أخرى ألا يعتبر أحد حديثى هجوما على أحد أو انتقاصا من قدر أى حزب من الأحزاب السياسية ـ سنجد الآتى :

١ ـ حزب الامة : وجود مفقود ولا فاعلية.

●● هناك أولا حزب الامة.. وأستأذن مؤسسيه ورئيسه فى استبعاده نهائيا من قائمة حسابات القوى الانتخابية الآن. لأن وجوده السياسى حاليا لا يتعدى شخص رئيسه وعددا من الشخصيات المؤسسة، ولا يمثل الحزب ثقلا كبيرا أو صغيرا حتى الآن فى الشارع السياسى كما أنه يفتقد الكوادر السياسية الفاعلة ويفتقد القدرة على إعداد قوائم انتخابية للترشيح فى الدوائر المختلفة.

٢ ـ حزب الأحرار : انقسامات حادة وفرصة ضائعة.

●● هناك بعد ذلك حزب الأحرار الاشتراكيين.. وهو حزب يحاول تمثيل قوى اليمين الليبرالى فى مصر المؤمن بقدر كبير من الليبرالية الاقتصادية، ولكن الحزب يعانى منذ فترة ليست قصيرة من انقسامات خطيرة، وقد تعرض لموجة هجرة واستقالات شملت عددا كبيرا من قياداته. فتخلى عنه نائب رئيسه، كما استقال منه وكيل الحزب محمد عبد الشافى وانضم إلى حزب الوفد الجديد، واستقالت منه أيضا ممثلته الوحيدة فى مجلس الشعب الحالى السيدة ألفت كامل وانضمت إلى حزب الوفد أيضا، ووصفتها صحيفة الحزب فيما بعد بأنها «تاتشر المصرية».

ويتردد همس آخر حول أمين صندوق الحزب يقول أنه يفكر فى الاستقالة ويتبادل هؤلاء مع قيادة الحزب الاتهامات حول مواقف سياسية

انتخبوا فلان
رمز الشجاعة

خاطئة ومواقف مالية أيضا لا تحظى بموافقة العديدين.

وكرد فعل لهذه الانقسامات فلقد بدأت قيادة الحزب السياسية تتخذ مواقف سياسية حادة خاصة فى لجنة الدفاع عن الحريات فى محاولة لرأب الصدع ولم الشمل حول الحزب، كما سعت القيادة سعيا حثيثا لاقناع أحزاب الوفد والعمل والتجمع بخوض الانتخابات فى قائمة موحدة، لأن فرصة الحزب فى خوض الانتخابات بقائمة منفردة شبه منعدمة، والتقى رئيس الأحرار السيد مصطفى كامل مراد، برئيس حزب الوفد الجديد السيد فؤاد سراج الدين لاقناعه بفكرة القائمة الموحدة، فلم تجد الفكرة قبولا لدى رئيس الوفد.

■■ لذلك فإنى أستطيع أن أقول بلا أية إساءة لحزب الأحرار أنه يمكن استبعاده من المنافسة الجدية فى الانتخابات القادمة، وأرجو أن ينظم الحزب صفوفه وأن يدعم كوادره لخوض الانتخابات التالية بقدرة أكبر على المنافسة.

٣ ـ حزب العمل : انقسامات مبكرة وفرصة مواتية.

●● يأتى بعد ذلك حزب العمل، ومن سوء الطالع أنه تعرض خلال الفترة الحاسمة السابقة للانتخابات إلى موجة انقسامات على المستوى القيادى وإلى موجة لتبادل الاتهامات على صفحات الصحف بين عدد من قياداته، وإلى حركة انسحاب منه مستمرة إلى الآن. وقد تلاقى الحزب إلى حد ما مع فكرة القوائم الموحدة، وحركته السياسية خلال مرحلة الانتخابات يمكن أن نلاحظ عليها أن الحزب يتخذ موقفا مهادنا من حزب الوفد، وأنه يسعى لاجتذاب جانب من كتلة الناصريين إليه متصورا أنهم يمكن أن يشكلوا قاعدة له، وهو من الأحزاب التى تحاول

الانتماء لثورة ٢٣ يوليو مدافعة عن مبادئها وعن الناصرية، وبالرغم من أن انتشاره على مستوى الجمهورية ليس قويا بالدرجة التى يطمح إليها الحزب، فإن كثيرا من المراقبين يرون أن فرصة هذا الحزب مواتية لتحقيق نسبة الـ ٨٪ من الأصوات ولدخول مجلس الشعب القادم. ويلحظ هؤلاء المراقبون أن حزب العمل بالرغم من أنه يتخذ موقفا معارضا لكثير من توجهات الحزب الوطنى وحركته السياسية، فإن الحزب الوطنى لا يرد على هجماته بنفس العنف والحدة التى يتلقى بها هجمات حزب العمل، ويفسر البعض ذلك بأن حزب العمل بالرغم من الاختلافات الأساسية بينه وبين الحزب الحاكم إلا أنه فى النهاية أقرب فكرا للحزب الوطنى من غيره من الأحزاب، وبأن منطلقاته الفكرية أقرب من غيرها لمنطلقات الحزب الوطنى.

٤ ـ حزب التجمع : تذبذب التحالفات واختلال التوازن.

●● يأتى بعد ذلك حزب التجمع، وهو كما ينبىء اسمه يمثل تجمعا لقوى سياسية متوافقة ومتصارعة فى نفس الوقت، ويضم الحزب مجموعة من الكوادر الماركسية النشيطة التى لا تحيد عن المنهج الشيوعى، كما يضم مجموعات من العناصر القومية والعناصر الناصرية والعناصر اليسارية، وقد تعرض الحزب فى فترة سابقة لانقسام خطير أدى إلى خروج قيادة ممثلة لتيار القوميين فيه وهى الدكتور يحيى الجمل، وتحكم حركته الانتخابية عدة خطوط هامة منها أن الحزب اتخذ قرارا داخليا بعدم الهجوم على الوفد بعد أن كانت صحيفته قد أساءت استقبال عودة الوفد بحكم قضائى فظهرت فيها عدة رسوم كاريكاتورية تسخر من الباشوات وتتهمهم بمحاولة إعادة حركة الزمن إلى الوراء.

وكانت هذه الهجمة مخالفة تماما لموقف التعاطف الذى اتخذه

الحزب وصحيفته تجاه محاولات حزب الوفد لاعادة وجوده قبل صدور حكم القضاء، وفسر البعض ذلك بأن التجمع قد هادن الوفد فى مرحلة صراعه للحصول على حق العمل السياسى، أما بعد أن انتهت هذه المرحلة فلقد انتهى التحالف وأصبح الصراع محتدما بين حزب يمثل الليبرالية الاقتصادية وأقصى اليمين ويؤمن بضرورة توثيق العلاقات والروابط مع الولايات المتحدة والديمقراطيات الغربية، وبين حزب يؤمن بالفكر الاشتراكى وبالاقتصاد الموجه وبتقييد حركة النشاط الفردى وبتوثيق الروابط والعلاقات مع حركات التحرر والدول المناهضة «للامبريالية» الغربية!

على أن هذه المرحلة قد انتهت مبكرة ولاحت فى الأفق بوادر استعداد للتحالف مع الوفد خلال معركة الانتخابات وأرجع البعض ذلك إلى إيمان حزب التجمع بمنهج العمل الجبهوى مع الوفد بالذات، حيث سبق أن تحالفت مجموعات من الماركسيين فى بداية الخمسينات مع مجموعات من العناصر الوفدية التى عرفت باسم الطليعة الوفدية ضد حكم قادة الحركة فى المراحل الأولى من ٢٣ يوليو.

■■ كذلك يلحظ المراقبون فى حركة التجمع محاولة حقيقية لاجتذاب أصوات بعض العناصر الناصرية مستفيدا فى ذلك من أن الأمين العام للحزب السيد خالد محيى الدين هو أحد ثوار يوليو ثم انفصل عنها لصالح الحركة الماركسية.. ذلك على الرغم من اعتراض الناصريين على كثير من التوجهات السياسية لحزب التجمع وكثير من مواقفه، فضلا عن اعتراضهم على تأثير وفعالية العناصر الماركسية فى حركة الحزب.

ويرى المراقبون أن حزب التجمع سوف يدرج فى قوائمه الانتخابية غالبية من الكوادر الماركسية، بما يتجاوز حجم مجموعة الماركسيين فى

الحزب نفسه، وبما يبقى مؤشرا غير صحيح لحجم هذه القوى السياسية داخل الحزب، لكن ذلك فى النهاية هو أمر يقرره الحـزب داخليـا وليس لأحد حق الاعتراض عليه، فنحن هنا نسجل ما نراه أو نتوقعه ولا نؤيد أو نعارض فى هذا العرض شيئا مما نراه.

وعلى ضوء هذه الاعتبارات كلها فان المراقبين يرون أن فرصة حزب التجمع فى تحقيق نسبة الـ ٨٪ من الصـعوبة بمـكان.. والمحـك الأول والأخير هو صناديق الانتخاب كما نعرف جميعا!

٥ ـ حزب الوفد : تحالفات جديدة وحقيقة مجهولة.

●● ونصل بعد ذلك إلى حزب الوفد الجديد : أبرز ما يـلاحظ الآن على حركته السياسية قبيل الانتخابات، هو التحالف الجديد بينه وبيـن الاخوان المسلمين برغم ما بين الاثنين من اختلافات فـكرية جـذرية. ولقد كتب عن تحالف الوفد والاخوان الكثير، ولم يعد هناك مجال لاضافة جديد إليه عدا أن بعض المراقبين يرون فى هذا الحلف رغبة متبادلة من الطرفين للاستفادة من الآخر بمبررات وتفسيرات مختلفة.

فالجانب الأول وهو الوفد فى رأى البعض قد تسرع رئيسـه وأعلن فى تصريحاته أن حزبه سوف يحصل فى الانتخابات القادمة على حوالى ٣٠ أو ٣٥٪ من الأصوات، وحين بدأ الحزب حركته السياسية تبينـت لـه حقائق موضوعية جديدة لا تؤهله لتحقيق هذه الأحلام، منها افتقـاده للأرضية فى كثير من المواقع.. ومنها أن غيابه السياسى لأكثر من ثلاثين عاما قد خلق حقائق جديدة لا يدرى الكثير عنها.

من هذه الحقائق أن عديدا من العائلات الكبيرة التى كانـت عمـاد الوفد فى الماضى قد انضمت أجيالها الجديدة إلى الحزب الوطنى بل وإلى

حزب التجمع وحزب العمل أيضا، لذلك فقد سعى إلى التحالف مع الاخوان ليستفيد بأرضيتهم فى الواقع السياسى المصرى رغم الخلافات. ذلك بالاضافة إلى عنصر أكثر أهمية هو أن الشباب المصرى لا يهمه الماضى كثيرا.. وإنما يهمه الحاضر والمستقبل.. بما يحقق طموحاته فى حياة أفضل.. وفى فرصة عمل لائق تحقق معيشة أيسر.

أما الاخوان المسلمون فلقد أرادوا أن يجدوا فى الوفد المنبر المشروع للتعبير عن أنفسهم وفى قوائمه الانتخابية الوسيلة المشروعة لدخول مجلس الشعب، وقد عبر أحد قادتهم عن تصوره لحقيقة العلاقة بين الوفد والاخوان بقوله « ان الوفد الآن وعاء سياسى خال وعلينا نحن أن نملأه ».

■■ وهكذا تلاقت الرغبات المختلفة وأسفرت فى النهاية عن هذا التحالف الجديد.. وأثار هذا التحالف زوبعة كبيرة داخل صفوف الوفد نفسه أدت إلى استقالة بعض أعضائه كالدكتور فرج فودة مؤلف كتاب الوفد والمستقبل، كما أدى ذلك إلى تذمر البعض الآخر.

وعلى الناحية الأخرى فلقد شهد الوفد أخيرا بعض الانقسامات والاستقالات وبيانات إعلان تجميد النشاط الحزبى بسبب خلافات داخلية مع بعض عناصره القدامى، الذين أغضبهم توسيع دائرة العضوية دون النظر إلى السابقة الوفدية أو دون النظر إلى المواقف العدائية السابقة تجاه الوفد للأشخاص الذين قبل الوفد عضويتهم أخيرا، كما أغضبهم أيضا أن بعض هؤلاء من حديثى الوفدية قد تصدروا بعض أوجه نشاط الحزب سابقين بعض القدامى، وهى قضية وفدية قديمة كان السيد فؤاد سراج الدين نفسه هو أحد مظاهرها حين عينه المغفور له مصطفى النحاس باشا وزيرا ثم سكرتيرا عاما للوفد رغم

حداثة وفديته بالنسبة للقدامى من جيله!

■■ لذلك يرى البعض أن الوفد بتحالفه مع الاخـوان وبصراعـه الداخلى التقليدى بين القدامى والمحدثين إنما يحمل عوامل تفجره من الداخل ما لم يتخلص من هذه العوامل ويحقق وحدة داخليـة وبنيـانا متماسكا للحزب.

ويعتمد الوفد فى دعوته على جاذبيته السياسية المستمدة من تاريخه الوطنى القديم، ولكن هذا العامل وحده لا يكفى لاحراز تمثيل انتخـابى قوى خلال المرحلة القادمة، خصوصا وأن الوفد يسقط مـن اعتبـاره العديد من المتغيرات السياسية التى شهدتها البلاد فى السنوات الثلاثين الماضية، ولذلك فان فرصة الوفد لتحقيق نسبة الـ ٨٪ بسـهولة قـائمة أما نسبة الـ ٣٠٪ التى يتوقعها الحزب عند بدء عودته لنشاطه فلا أعتقد أنها متاحة له فى الانتخابات القادمة.

٦ ـ الحزب الوطنى : منطلقات الثورة والنصر، والتصحيح والبناء المستقر.

●● ونصل بعد كل ذلك إلى حزب الأغلبية الحاكم الحزب الـوطنى الديمقراطى وهو فى رأى الكثيرين الحزب المؤهل تـاريخيا لأن يحقـق لمصر الاستقرار والانسجام الاجتماعى والسياسى فى المرحلة القـادمة. كما أنه المؤهل لاستكمال جهوده فى البناء والاصلاح وتنفيذ مراحل خطة التنمية. كل ذلك بغض النظر عن بعض السلبيات التـى تتعلـق ببعض الممارسات أو ببعض الشخصيات التى حسبت على الحزب وأساءت إليه فى فترة من الفترات.

فلا شك أن الحزب الوطنى رغم كل ذلك هو الحـزب الـذى يمثـل

الأغلبية الشعبية فى مصر الآن، وهو الذى يمثل منطلقات ثـورة يـوليو ومنطلقات نصر أكتوبر ومنطلقات إجراءات التصحيح التـى اتخـذت فى مايو ١٩٧١ فيما يتعلق بالديمقراطية، وهو الحزب الذى يمثل تـوجهات حسنى مبارك الصحيحة للعلاج والاصلاح ولم الشمل واحتـرام كلمـة القضاء وعودة الشخصية الدولية والعربية والأفريقية وغيـر المنحـازة لمصر، وهو الحزب الذى يجمع بين جوانبه العامل والفلاح والـرأسمالى الوطنى غير المستغل، يجمع المسلم والقبطى، ويرفض التـطرف بـكل أشكاله ويدين التعصب ويحرص علـى الـوحدة الـوطنية والسـلام الاجتماعى المنشود دائما.

ويرى كثيرون أن مشكلة الحزب الوطنى الأسـاسية فى الانتخـابات القادمة هى فى حسن إعداد واختيار قوائم مرشحيه فى الدوائر المختلفة، يرون أنه إذا أحسن اختيار الوجوه التى يتقدم بهـا لـلانتخابات وإذا أحسن التمثيل النسبى لكل التيارات السياسية المؤتلفة داخلـه فـإن فرصته لخوض معركة انتخابات ليست عسيرة بـل مـواتية جـدا، وأن فرصته للحصول على أغلبية مريحة هى فرصة أكثر من مواتية وأكثر من ممكنة.

والكلمة الأخيرة فى صحة أو خطأ كل هـذه التقـديرات والتـوقعات كما قلت من قبل هى للبرامج الانتخابية الـواقعية والممـكنة التنفيـذ للأحزاب.. وهى لشخصيات القوائم المرشحة للدخول فى المعركة وهـى أولا وأخيرا لصناديق الانتخابات.

وسوف نعود حتما لتقييم آخر للخريطة الانتخابية قبل بدء الانتخابات من خلال استطلاع رأى آخر يقوم به «الأهرام» ومن خلال متابعة جادة ودقيقة لساحة المعركة الانتخابية.